أَلَا فـارْحَـمـي صَـبًّـا كَـئـيـبـاً مـعَـذَّبـاً
حَـريـقُ الـحَـشـا مُـضْـنـى الـفُـؤادِ حَـزيـنُ[١]

قَـتـيـلٌ مِـنَ الأَشْـواقِ أَمَّـا نَـهـارُهُ
فَـبـاكٍ وأَمَّـا لَـيْـلُـهُ فَـأَنـيـنُ[٢]

لَـهُ عَـبْـرَةٌ تَـهْـمِـي ونـيـرانُ قَـلْـبِـهِ
وأَجْـفـانِـهِ ـ تُـذْرِي الـدمـوع ـ عُـيـونُ[٣]

فـيـا لَـيْـتَ أَنَّ الـمَـوْتَ يَـأْتـي مُـعَـجَّـلاً
عـلـى أَنَّ عِـشْـقَ الـغـانِـيـاتِ فُـتـونُ[٤]

٢٣٠
كل نفس ودينها

[الطويل]

يَـقـولـونَ: لَـيْـلَـى بـالـمَـغـيـبِ أَمـيـنَـةٌ
وإِنِّـي لَـراعٍ سِـرَّهـا وأَمـيـنُـهـا[٥]

---

(١) يطلب الشاعر من ليلى أن تُشفق عليه وترأف به؛ فقد برّح به الشوق وعذّبه، فهو حزين، أحشاؤه مشتعلة لحرارة معاناته وشدّتها، لذا ففؤاده سقيم.

(٢) قتله شوقه إلى من يحبّ؛ لذا فنهاره يمضي والدموع في عينيه، وليله أنين متواصل لا يعرف للنوم فيه طعماً.

(٣) تلازمه دمعة تهمي بلا انقطاع، وفي قلبه نيران تأكل وجوده، وأجفانه لا تعرف للنوم طعماً، بل هي عيون تتدفق دموعها غزيرة.

(٤) يتمنّى الشاعر أن يُعاجله الموت فجأة ليستريح من آلامه وأحزانه، ولكن لذّة عذاب حبّ الغانيات فيه من الجنون والفتنة ما فيه...

(٥) تنامى إلى مسامع الشاعر أقوالهم بأن ليلى تُخلص بالودّ وتحفظ العهد لك، فهي لك أمينة رغم بعدها عنك، فردَّ أنَّه هو بدوره يحفظ لها العهد ويصون الودّ، فهو أمين أيضاً.

وللنَّفْسِ ساعاتٌ تَهُشُّ لِذِكْرِهَا
فَتَحْيَا وساعاتٌ لَها تَسْتَكِينُها[١]

فإِنْ تَكُ لَيْلَى اسْتَوْدَعَتْني أَمانةً
فلا وأَبي لَيْلَى إِذاً لا أَخونُها[٢]

أَأُرْضي بِلَيْلَى الكاشِحينَ وأَبْتَغي
كَرامَةَ أَعْدائي بِها فَأُهِينُها[٣]؟

وقَدْ قيلَ: نَصرانِيَّةٌ أُمُّ مالِكٍ
فَقُلْتُ: ذَرُوني كلُّ نَفْسٍ ودِينُها[٤]

فإِنْ تَكُ نَصْرانِيَّةً أَمُّ مالِكٍ
فَقَدْ صُوِّرَتْ في صُورَةٍ لا تَشِينُها[٥]

مَعاذَةَ وَجْهِ اللَّهِ أَنْ أُشْمِتَ العِدَى
بِلَيْلَى وإِنْ لم تَجْزِني ما أَدِينُها[٦]

---

(١) ونفس الشاعر لا تستقرّ على قرار، فتارة ينشرح صدره إذا تذكر ليلى ويُسرّ٤، فتدبّ فيه الحياة وتنتعش فيه الآمال، وتارة أخرى تنتابه سويداء فيكتبُ ويستسلم لقضائه.

(٢) وكون ليلى قد أخذت عليّ عهداً ألّا أخونها، فلن تكون مني خيانة ونقض للعهد، وأقسم بأبي على ذلك.

(٣) الكاشحين: المبغضين. يسأل الشاعر نفسه أمن الإخلاص للحبّ أن أرضي الأعداء وأغضب ليلى؟ وما هي غاية أعدائه إلّا إثارة البغضاء والعداوة بينه وبين ليلى وهذا يُفرح الأعداء ويسرّهم، لذا فهو لن يهينها نِكاية بالأعداء.

(٤) و (٥) ومن أسباب دواعي التفريق بين الشاعر وحبيبته قولهم: إنّ والدة ليلى نصرانية، فيردّ عليهم: دعوني فإني لا أهتمّ إلى ذلك ودعوا كلّاً على دينه، وحتى لو كان ذلك حقًّا، فجمالها صوّره الخالق سبحانه وتعالى أجمل صورة؛ وذلك فخر لها لا يُشينها.

(٦) يستعيذ الشاعر باللّه تعالى أنه لن يُفرح الأعداء بما قد يفعله بليلى من سوء، بل سيغفر لها ما تفعله به، وإن لم تُبادلني ديناً بدين.